

## فنّ المقامات، النشأة والتطور؛ دراسة وتحليل

محمد هادي مرادي \*

### الملخص

المقامة من الألوان الأدبية، والفنون الثرية التي ظهرت في القرن الرابع للهجرة، وازدهرت في عصر الانحطاط. يحاول هذا المقال إلقاء ضوء على جوانب هذا النوع الأدبي: التعريف به، ونشأته، وتطوره، وأعلامه، وملامحه، وجذوره، ومناقشة الآراء في نشأته، ومناقشة رأي «ملك الشعراء بهار» في وجه تسميته، وأغراضه، وتأثر الأدباء من العرب والإيرانيين بمقامات البديع، وعلمه الفذ، وأخيرا يدرس المقامات الفارسية، والمقامات العربية الحديثة.

الكلمات الدلالية: المقامة، القصّة القصيرة، بديع الزّمان.

\*. عضو هيئة التدريس بجامعة العلامة الطباطبائي.

## المقدمة

المقامة - كَفَنَ من فنون النثر العربي - ظهر في القرن الرابع الهجري، وازدهر في عصر الانحطاط. وهي شبه قصة قصيرة مسجوعة في أغلب الأحيان تتضمن مُلحاً، ونوادر، وعِظَاتٍ؛ كان الأدباء يتبارون فيها إظهاراً لبراعتهم اللغوية، والأدبية. يمتاز هذا الفن بأسلوب سرديّ حكايتيّ خاصّ في بيان غرضه، وخطابه، وهدفه.

وقد عرّف «القلقشندي» المقامات فقال: «وهي جمع مَقَامَةٍ بفتح الميم، وهي في أصل اللغة اسم للمجلس، والجماعة من الناس. وسمّيت الأحداث من الكلام مَقَامَةً كأنها تُذكر في مجلس واحد يجتمع فيه الجماعة من الناس لسماعها.» (القلقشندي، لاتا: ١٢٤) إذن هي أحداث أو حكاية أو قصة قصيرة تعتمد - ولا شك - في أغلب أحداثها على الخيال، لا على الحقيقة. وهي تعتمد على راوٍ، وبطلٍ محوريّ، وشخصيات هامشيّة، وأغلبها شخصيات خياليّة وهميّة غير حقيقيّة. وهي تختلف من حيث الحجم فتارة لا تبلغ حدّ الخبر القصير الموجز، وتارة تبلغ حدّ القصة أو الحكاية القصيرة. كما تختلف أيضاً من حيث الموضوع، فترى البعض منها يتناول قضايا الفساد - كفساد الحكّام أو القضاة أو رجال الدولة، وما إلى ذلك من شخصيات سياسيّة، واجتماعيّة - والبعض الآخر يتطرق إلى الوعظ، والإرشاد.

كما تتسم تارة بطابع أدبيّ ساخرٍ فاخرٍ لاذع، وتارة بسمّةٍ فكاهيّةٍ سخيّةٍ تافهة. والمقامات - عادة - تنطوي على آيات قرآنيّة كريمة، وأحاديث نبويّة شريفة، وأمثال وحكم. وتتنظم في مفردات غريبة قلّ استعمالها أو اندثرت. فهي بحقّ تعتبر ثروة لغويّة، ومادّة أدبيّة دسمة.

تبدأ المقامات - عادة - بحديث الراوي فيقال في أولها:

حدّثنا فلان... ويسرد الراوي في حديثه حكاية البطل المحوريّ الذي يمتاز في أغلب

١. المقامة لغة: المجلس، والجماعة من الناس. ومقامات الناس: مجالسهم. قال العباس ابن مرداس:

فأبى وما أَيْك كان شراً فقيد إلى المقامة لا يراها



الأحايين بذكائه الحادّ ونضوجه الأدبيّ، وحنكته في تجارب الحياة، ولسانه الذرب الذي يفتن السامعين، وشخصيته الماكرة الخادعة التي لا تنكشف إلا في نهاية المقامة.

والمقامة - كما ذكرنا - حكاية قصيرة، فهي إذن لها بداية، ولها نهاية، وفيها شخوص محوريّة، وهامشيّة، ولها بُعد مكانيّ، وهكذا زمنيّ، وفيها عقدة تتعقد، وتتأزم، وحلّ، وهو النّهاية<sup>١</sup>.

وتمتاز بالسرد، والحوار، والأسلوب الحكائي، والوصف الذي يلعب دورا بارزا في وصف المكان، والزمان، والشخوص التي يصفها تارة من الخارج، فيصف ملامحها، وصورها، وأشكالها، وألوانها، وتارة وصفا داخليا يغور في أعماق نفوسها. كما نشاهد فيها ما يعرف - أدبيا - بـ «التناص» فكم نرى فيها وجه الشبه بينها، وبين آي الذكر الحكيم.

ومع أنّها فنّ نثرى يعود إلى نوع السرد، والحكاية، لكنّها تقترب في فنّها الأدبيّ من الشعر، وقوانينه، وميزاته. وخاصّة عند استخدامها الأسجاع سواء المتساوية الفقرات منها أو المختلفة، وسواء المتّحدة الأحرف أو المختلفة. كما تشترك مع الشعر في استخدام البيان بأركانه المختلفة، والبدايع، ومحسناته اللفظية، والمعنويّة.

تمتاز المقامات من حيث الموضوع، والمضمون أيضا بحيلة أو حيل يلجأ إليها البطل للإثارة، وغالبا ما يبتلئ بهذه الحيل شخوص المقامات، وخاصّة الراوى الذي ينخدع، ولا يتكشّف له الأمر إلا في نهايات المقامة.

وكما أشرنا اختلفت الآراء في معنى المقامة. فالبعض يرى أنّها بمعنى المجلس، والمحفل، والقبيلة، ويستشهد بهذا البيت لزهير بن أبي سلمى المُرني:

وفيهم مقامات حسانٌ وجوهمم وأندية ينتابها القول والفعل

(زهير، ١٩٩٥م: ٧٦)

١. وهذا ما حيدا البعض بأن جعلها قصة تتوفّر فيها العناصر القصصية.

وهكذا بيت سلامة بن جندل:

يومان: يوم مقامات وأندية      ويوم سير إلى الأعداء تأويب

(ياغى، ١٩٦٩م: ٣٦)

وكلاهما استخدم المقامة بمعنى النادى. (المصدر السابق: ٣٧)

ويرى البعض أنّ المقامة قد استخدمت في العصور الإسلامية الأولى بمعنى: الكلام الذى يُلقِيها القائل، وهو واقف، وهكذا كانت تطلق المجالس أيضاً - كالمقامات - على مجموعة الكلمات التى يُلقِيها الأديب فى المجلس.

إلّا أننا نرى أن «ملك الشعراء بهار» فى كتابه القيم «سبك شناسى» يعتبر المقامة تعريفاً أو ترجمة من «گاه» أو «گاهه» ويربطها بالمقامات الموسيقية. وهو يقول: «يقال: المقامة: المجلس أو الجماعة من الناس أو الخطبة أو العظة أو الرواية التى تلقى فى مجتمع الناس». (بهار، ١٣٦٦ش، ج ٢: ٣٢٥)

وهو يقول فى هامش نفس الصفحة: «ولكنّ الرأى المرجح هو أن المقامة ترجمة لـ

«گاهه» أو «كاس» أو «گاه». (المصدر السابق: ٣٢٥)

ومما يجدر بالذكر أنّ العرب فى الجاهلية أو بعدها كانوا يخطبون، وهم واقفون أو يعتلون منصّةً متّكئين على العِصَى، والعيّدان. ولا يستبعد أن يكون لهذا - بشكل أو بآخر - أثرٌ فى المقامات. إذ نرى أن الكثير من أبطال قصص المقامات يحملون هذه العِصَى، والهراوات، ويطلقون بها على الأرض للإثارة، وهو ما نراه - على سبيل المثال - فى المقامة «المكفوفية» من مقامات بديع الزمان الهمدانى: «... وإذا هناك قوم مجتمعون على رجل يستمعون إليه، وهو يخطب الأرض بعضاً على إيقاع لا يختلف، وعلمت أنّ مع الإيقاع لحناً». (عبده، ١٩٩٣م: ٤٢)

كما نرى تستخدم المقامة فى مجالس الحكّام، والخلفاء كوسيلة لإبداء النصح، والموعظة، وهو ما نراه فى كتاب «الزهد»، وهو قسم من كتاب «عيون الأخبار» لـ «ابن

١. الهراوة ج: هراوى وهري وهري: العصا الضخمة.



قتيبة الدينوري» فنجد عناوين كمقام صالح بن عبدالجليل بين يدي المهدي، ومقام رجل من الزهاد بين يدي سليمان و... .

ولا شك أنّ النقاد، وكتاب الأدب، اختلفوا في من بدأ باستخدامها في معناها الاصطلاحي، رغم إجماعهم على أنّ بديع الزمان الهمداني هو أول من أصل هذا الفن النثري الفاخر، وأرسى قواعده. ولكن البعض يرى أنّ بديع الزمان قد تأثر بأحاديث «ابن دريد» اللغوي (؟ - ٣٢١ ق) ولا بدّ من الإشارة إلى نكته، وهي أولاً: أننا لم يصلنا إلى يومنا هذا شيء من «أحاديث» ابن دريد. ثانياً: أطلقوا على مؤلف ابن دريد «الأحاديث»، والاحتمال الراجح هو أنّ هذه «الأحاديث» كانت تختلف عن المقامات. وها نحن نرى الحريري، وهو يؤكد في مقاماته قائلاً: «... المقامات التي ابتدعها بديع الزمان، وعلامة همدان... مقامات أتلو فيها تلو البديع. إنّ البديع - رحمه الله - سباق غايات، وصاحب آيات.» (ياغي، ١٩٦٩م: ٥٧)

وحقاً أنّ مقامات بديع الزمان كانت النموذج الأمثل لمن كتبوا المقامات بعده، سواء المتقدمون منهم أو المتأخرون. فقد حاكاه الحريري في مقاماته، وخطى إثره، وانتهج نهجه. وهكذا من المتأخرين نرى «أحمد فارس الشدياق» صاحب «الساق على الساق» قد سار على نفس النهج فدوّن مقاماته، وكما نرى في الفارسيّة «الحميدي» تبع في مقاماته، مقامات بديع الزمان شكلاً، وموضوعاً.

ولكن لا يُستبعد تأثر الهمداني في مقاماته بما سبقه من فنون نثرية سردية حكاية كقصص «ألف ليلة وليلة» التي كانت معروفة في القرن التاسع للميلاد<sup>١</sup>. وأيضاً لا يستبعد أن يكون بديع الزمان متأثراً بـ «ابن المقفع» الذي ترجم كتاب «كليلة ودمنة» حيث يمتاز بأسلوبه القصصي الرائع، والهادف، وهو ما نراه أيضاً في المقامات، وإن خالف البعض الرأي القائل بأنّ للمقامات أهدافاً، وغايات أخلاقية - تعليمية.

١. «ألف ليلة وليلة» أشهر كتاب في القصص الشعبي عند العرب. ووردت أقدم الإشارات إليه في القرن التاسع للميلاد. وبعد ذلك بفترة يسيرة تحدث المسعودي (؟ - ١٩٧٥م) عن كتاب فارسي اسمه «هزار ويك شب» أو «هزار افسانه»، وقال: إنّ الناس يسمّون هذا الكتاب «ألف ليلة وليلة». منير البعلبكي: موسوعة المورد.

ولو عدنا إلى الحديث عن المقامات - كفن قصصى روائى - بعامة - وإلى مقامات بديع الزمان - خاصة - لوجدنا أنّ البطل الأصلي في مقاماته هو «أبو الفتح الأسكندرى» وله راو باسم «عيسى بن هشام القمى» الذى يتابع حركات، وسكنات هذا البطل، ويسرد كلّ أعماله، وتصرفاته. ذاك البطل الذى يتلوّن بجميع الألوان، ويستخدم كلّ الحيل، والطرق الملتوية ليكسب مالا أو يدّخره. فهو نموذج للبهلوان الذى يستخدم جميع الطرق البهلوانية، ويتمسّح بجميع الشخوص السياسيّة أو الدينيّة أو الاجتماعيّة. فتارة نراه خطيبا فى القرية، ومعتليا منبر مسجدها، وتارة نراه مغنيا مطربا يرتاد الحانات، والخمارات. (الهمدانى، ١٩٨٧م: المقامة الخمرية) وتارة نراه يرتدى الملابس العسكريّة، ويمتشق سيفه كقائد عسكري، يدعو الناس إلى الجهاد بتقديم المال لدعم الجيوش. (المصدر السابق: المقامة القروينية) وتارة نراه مهرّجا مربّيا للقرود (المصدر السابق: المقامة القردية) وتارة نراه يدّعى إحياء الموتى، وعلاج الأمراض المستعصية. (المصدر السابق: المقامة الموصلية) وأحيانا تراه فى صورة أعمى، ويده معلّقة عليها الأجراس يطلى بحيله على الناس مستخدما الشعر، والغناء فيكسب المال مكرا، وحيلة. (المصدر السابق: المقامة المكفوفية)

ورغم أنّ مقامات البديع تبدأ، وتنتهى بصورة مكررة، وربّما تبدو للوهلة الأولى بأنّها تشير ملل القارىء، إلا أنّ الأحداث المتنوّعة، والشخوص المتعدّدة تخرج هذا المقامات من الـ «سيميائية» (= الرتابة) وتضفى على القصص طابع الجدّة، والإثارة.

وهكذا الوصف الذى استخدمه الكاتب لشخصه، وأبطاله بل للزمان، والمكان. ولو اتخذنا مثلا المقامة «الحلوانية» أنموذجا لبراعة الكاتب فى الوصف، لوجدنا الراوى يحدّثنا عن الحمّام، والعاملين فيه ومنهم بطل مقاماته «أبو الفتح الأسكندرى» الذى يمتنهن مهنة الحجامّة، ويتصف بشرثرته التى تذكّرنا بقصّة الحلاق الثرثار المعروفة فى الأدب العربى الحديث.

وكما تذكّرنا بقصّة الدلاّك الساكت فى قصص «ألف ليلة وليلة» فنرى الحجام فى هذه القصّة، وهو يخلّق الأحاديث، ويتدرّع بجميع الحيل، والمكائد ليطلّى على مستمعيه أكاذيبه التى يطلّوها بحلو الكلام وبما سمعه، وقرأه من أشعار، وأمثال. كما نرى أنّ هذا



البطل في المقامة الشامية في صورة الماجن الوقح الذي لا يتورّع عن ذكر المسائل الجنسية السافرة التي تنبؤ عنها النفس، وتشمئزّ منها الروح بكلماته البذيئة الركيكة. وهكذا نرى البديع، وهو يبديع في وصف شخوصه، وخاصة ذاك البزاز الذي أتى على لسانه وصفا جميلا لطبقة البزازين باعة الأقمشة، وحياتهم الاجتماعية، وبيئتهم، ومنازلهم، وألبستهم مع وصف داخليّ دقيق جميل لنفسياتهم التي تنطوى على حبّ النفس، والشطارة، وما إلى ذلك من صفات يمتاز بها.

ويمكننا القول إنّ هذه المقامة من أفضل المقامات التي دونها بديع الزمان. وربما لهذا السبب نرى الحميدى قد قلدها في جميع خطواتها - خطوة خطوة - في مقامته «السكباجية». وحقاً أنّ هاتين المقامتين تحتاجان إلى دراسة أدبية مقارنة. إذ أبدع الكاتبان سواء الهمداني الذي ابتكرها، وأبدع فيها وسواء الحميدى الذي قلده فيها بمهارة، وإبداع خارقين.

وبما أنّنا تطرّقنا - وبشكل عابر - إلى التأثير، والتأثر بين الهمداني في مقاماته، ومن سبقوه مثل ابن المقفّع في كليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة، نقول: إنه لا يستبعد أن يكون الهمداني تأثر بأسلوب «الجاحظ»، وفنّه النثرى الساخر، وخاصة في كتابه «البخلاء» الذي يعدّ أول كتاب تطرّق إلى البخلاء، وخاصة الشحاذين منهم مثل حديثه عن «خالد بن يزيد».

أمّا بالنسبة للجانب الموضوعي، والغرض الذي كان يهدف إليه بديع الزمان، وخطابه الذي وجهه إلى قرائه فلا شك في أنّ هذه المقامات تنتظم في قصص متعدّدة تنطوى على أغراض، وأهداف نقدية اجتماعية بناءة. فهي تلقى الأضواء على الأوضاع الاجتماعية السائدة في المجتمع آنذاك.

لكنّها نظرات ربّما نخالفها في بعض المواقف، وخاصة في جوانبها الانتهازية التي يدعو فيها إلى اغتنام الفرصة، واهتبال الوضع، والوقت للاستفادة من الظروف المؤاتية، وإن كان بطرق ملتوية، وربّما لم يكن يقصد بها بل بصدّها، وبما يخالفها فكأنّه يؤكّد عليها، ويميط اللثام عنها لتشمئزّ النفوس الأبية منها.



وقد تمثّل هذا النقد الاجتماعي بصورة بدیعة، ورائعة في المقامة «المَضِيرِيَّة» التي تناول فيها بالنقد حياة «حديثي النعمة» التي تتّصف بالانتهازيَّة، والنجسيَّة، والتذبذب، والوقاحة، والثرثرة، والإدعاء، والكذب، والحسد، والعُقد، وما إلى ذلك من صفات تطفو على السطح عند هؤلاء الوضيعين الذين نسوا ماضيهم فتعالوا على طبقتهم التي كانوا منها قبل قليل، والطبقة المطحونة الفقيرة.

ونأتى هنا - كأمودج - بقسم من المقامة المَضِيرِيَّة: «دعاني بعض التجار إلى مَضِيرَة، وأنا ببغداد، ولزمني ملازمة الغريم. والكلب لأصحاب الرّقيم<sup>١</sup>. إلى أن أجبته إليها، وقمنا فجعل طول الطريق يثنى على زوجته، ويفديها بمهجته، ويصف حذقها في صنعها، وتأنقها في طبخها، ويقول: يا مولاي لو رأيتها، والخرقَة<sup>٢</sup> في وسطها، وهي تدور في الدّور من التّنور إلى القدور، ومن القدور إلى التّنور، تنفثُ بفيها النّار، وتدقّ بيديها الأبزار<sup>٣</sup> ولو رأيت الدّخان، وقد غبّر في ذلك الوجه الجميل، وأثر في ذلك الخدّ الصّويل، لرأيت منظرًا تحار فيه العيون، وأنا أعشقها لأنّها تعشقني.

ومن سعادة المرء أن يرزق المساعدة من حليلته، وأن يسعد بظيعيته<sup>٤</sup> ولا سيّما إذا كانت من طينته<sup>٥</sup> وهي ابنة عمي لِحاً<sup>٦</sup>. طينتها طينتي، ومدينتها مدينتي، وأرومتها أرومتي. لكنّها أوسع خُلُقاً، وأحسن خُلُقاً.»

لقد تأثر الأدباء بعد بديع الزّمان بمقاماته فحاكوه، وقلّدوه في كتابتها من العرب والإيرانيين. فمن المقامات العربيّة:

١- مقامات ابن الناقيا (٤١٦ - ٤٨٥ ق) البغدادي الأصل. يقال إنّه كان سريانيّاً أو أرمينيّاً، وكان يقول بمذهب «التعطيل»<sup>٧</sup> وهو يحاول في مقاماته أن يأتي بعبارات رائعة

١. الرقيم: أصحاب الكهف، وكانوا سبعة، وثامنهم كلبهم ولم يفارقهم.
٢. الخرقَة: ما يضعه الطاهي على صدره تقيّة للذهن، ورشاش الطعام، وهي ما يُسمّى بالمربّلة (= المربول - الفوطة).
٣. الأبزار: ما يوضع على الطعام لتطيب نكهتها كالفلفل، والقرنفل.
٤. المرأة ما دامت في اليهودج، والمراد هنا المرأة مطلقاً.
٥. الطينة: المنبت. أي أنّ كليهما مشترك في المنبت.
٦. لِحاً: قرابة متّصلة.
٧. مذهب كلامي قائل بنفي الأسماء، والصفات من الله تعالى.





رئانة مبتكرة. ولكنّه على العكس من بديع الزمان لا يهدف إلى الأغراض الاجتماعية.

٢- مقامات الحريري (٤٤٦ - ٥١٦ق) وهو نار على علم غنى عن التعريف، وبحق هو الخليفة الحقيقي لبديع الزمان الهمداني في هذا الفن.

٣- مقامات الزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨ ق) طبعت هذه المجموعة مصحوبة بشرح المفردات اللغوية في المطبعة العباسية سنة ١٣١٢ق وجدير بالذكر أنّ شرح المفردات للمصنّف أيضا. أمّا سبب تدوين المقامات فهو أنّ الزمخشري كان نائما في صبح من الأصباح، إذ يسمع هاتفا يقول: «يا أبا القاسم! أجلّ مكتوب، وأملّ مكذوب.» ينتبه من نومه فجأة، ويكتب كلمات حكمية على نفس النهج. وفي سنة ٥١٢ ق يتلى بمرض مستعص يعزم فيه أن يكفّ عن مدح السلطان، والحضور في مجلسه، ويتزهد بقيّة حياته. ولما شفى من مرضه أخذ في كتابة مقاماته البالغة خمسين مقامة. وكما يبدو فإنّه قد تناول فيها التقوى، والأدب، والتصوّف، والزهد. (نور عوض، ١٩٧٩م: ١٨٧)

٤- مقامات ابن الجوزي (٥١٠ - ٥٩٧ ق) وهي تمتاز بصبغتها الصوفية - العرفانية، وبرمزيتها المكتسبة من حياة ابن الجوزي نفسه.

٥ - مقامات الحنفي التي اتبع فيها جانب الاعتدال، وهو ما أكد على ذلك بنفسه فيها، إذ كان يقول: «إنّ الهمداني قد اتخذ الإيجاز أسلوبا له في كتابة مقاماته. كما أنّ الحريري انتهج استخدام الغريب من المفردات في مقاماته، وأنا اتخذت أسلوب الاعتدال دون إفراط أو تفريط، لكنني لم أغفل عن الهزل.»

٦ - مقامات الشاب الظريف (٦٦٢ - ٦٨٧ ق) وقد تأثر فيها بمن سبقوه من الأدباء، وهي تشتمل على معان صوفية، وروحية تأثر فيها بأسلوب ابن الفارض المصري، ومحي الدين بن عربي.

٧- مقامات الصفدي: (٦٩٦ - ٧٦٤ ق) وقد تأثر الكاتب - كما يصرّح بنفسه - بمقامات ابن العطار التي ضاعت - للأسف - على مرّ الزمن. ولهذا السبب لا نعرف مدى تأثر الصفدي به. (المصدر السابق: ٢٠٥ - ٢١٠)

٨ - مقامات ابن الوردي (؟ - ٧٤٩ ق) وطبع هذا الكتاب، ولا مية العرب معاً. وهو



يتطرق في إحدى مقاماته إلى نقد متصوفة عصره، ويقول: «هم يأكلون، ويشربون، ولا يهتمون بآلام الناس. يروون عن صلحاء السلف كلماتهم، ولا يخطون خطواتهم. ثيابهم كثيابهم، ولكن قلوبهم غير قلوبهم. لا يرون إلا الظواهر. يحبون الجاهات، ويتبعون الشهوات، ولا يفكرون إلا في اللذات.»

٩- مقامات السيوطي (٩١١ - ٨٤٩ ق) هو من كبار علماء القرن العاشر الهجري، وتمتاز مقاماته بالحديث عن الزهور، والأوراد، والبساتين.

١٠- مقامات الخفاجي (٩٧٩ - ١٠٦٩ ق) وتمتاز بنقدها الاجتماعي.

١١- مقامات السويدي شهاب الدين أحمد بن البركات، ويعود تأليفها إلى عام ١١٧٩ ق.

### المقامات الفارسيّة

هناك دراسة فنية قيّمة قام بها كاتب مصريّ (فارس إبراهيم حريري، مقامه نويسي فارسي، وتأثير مقامات عربي در آن، منشورات جامعة طهران ١٣٤٦ش) نال بها شهادة الدكتوراه من جامعة طهران في قسم الدراسات الفارسيّة للأجانب، وقد تناول فيها مقامات الحميدي الفارسيّة، ولم يغفل فيها عن الحديث عن المقامات الفارسيّة الأخرى. كما تناول مقامات الحريري بدراسة نقدية أدبية مقارنة مع مقامات بديع الزمان الهمداني، وكذلك الحريري. وكما تحدّث عن بعض الكتب الفارسيّة التي عدّها بمثابة مقامات فارسيّة. فعلى سبيل المثال تحدّث عن «گلستان سعدی»، وعدّه كتاباً قدّ فيه سعدی المقامات العربيّة، وخاصّة قصته الأخيرة، والكبيرة الحجم، وهي قصّة: «جدال سعدی با مدعی». إلا أنّ الكاتب عدّ الكتب التي حاكت، وقلّدت كتاب سعدی متأثرة كذلك بالمقامات العربيّة. ومن تلك الكتب التي ذكرها: «بهارستان جامی» وحقاً أنّ الجامی قد قدّ كتاب «گلستان» أكثر ممّا أن يكون قد قدّ المقامات العربيّة أو الفارسيّة منها. إذ يقرّ هو بنفسه أنّه كتبه لابنه «ضياء الدين» وقدّ فيه كتاب «گلستان».

ومنها: كتاب «روضه الخلد» لـ «مجد الخوافي»، وكتاب «تاريخ نگارستان» لـ



«قاضي أحمد الغفاري» وكتاب الفآنى المعروف بـ «پريشان» وقد قلّد فيه القآنى - كما هو صرّح بنفسه - كتاب «گلستان» وكتاب مقامات ميرزا جعفر رياض المتوفّى عام ١٣٣٦ق وكتاب «نمكدان» للحكيم صفاء الحق الهمدانى المتوفّى عام ١٣٤١ ق. وبالطبع فإنّ الحديث عن المقامات الفارسيّة لا يتوقّف عند هذا الحدّ، ويحتاج إلى تنقيب، وبحث دائمين، ودؤوبين، وإلى دراسات فارسيّة مقارنة متعدّدة.

### المقامات العربيّة الحديثة

ولا يفوتنا أن نتحدّث - ولو بإيجاز - عن كتابة المقامات فى العصر الحديث، وخاصّة فى بدايات عصر النّهضة. فنذكر على سبيل المثال مقامات «ناصرى اليازجى» الأديب اللبّانى الذى قلّد الحريرى فى مقاماته. وهكذا مقامات «محمد المويلى» الذى استخدم فيها القصّة سلماً للنقد الاجتماعى. وهكذا المقامات الفكرية لـ «عبدالله فكرى باشا» المولود عام ١٢٥٠ق ومقامات إبراهيم المويلى الذى أفاد من المقامة ليعبر بها عن أفكاره السياسيّة.

ونهى هذه المقالة بالإشارة إلى مقامات «أحمد فارس الشدياق» (١٨٨٧ - ١٨٠٥م) والتي تناول فيها التقاليد الاجتماعيّة، ونقدها نقداً لاذعاً. وهكذا يمكن أن يقال: إنّ المقامات - كفنّ أدبى نثرى - توقفت عند هذا الحدّ، ولم تتجاوزه، وانتقلت نقلة كبيرة من القصص، والحكايات القصيرة المتّسمة بأسلوبها القديم، إلى قصص قصيرة، وروايات طويلة متأثرة بالآداب الأوروبيّة، فاتخذت قلباً جديداً، واصطبغت بصبغة عصريّة، واتجهت وجهة أخرى.

### النتيجة

ظهرت المقامات فى القرن الرابع للهجرة وازدهرت فى عصر الانحطاط. تشبه المقامات بالقصص القصيرة المسجوعة فى أغلب الأحيان، وتتضمن ملحاً، ونوادر، وعظات؛ وكان الأدباء يتبارون فيها إظهاراً لبراعتهم اللغوية، والأدبية. ويمتاز هذا الفن بأسلوب سردى

حكائي خاص في بيان غرضه، وخطابه، وأدبه.  
ويمكن القول إن المقامات - كفنّ أدبي نثرى - انتقلت في العصر الحديث نقلة كبيرة من القصص، والحكايات القصيرة المتّسمة بأسلوبها القديم، إلى قصص قصيرة، وروايات طويلة متأثرة بالآداب الأوروبيّة، فاتخذت قالباً جديداً، واصطبغت بصبغة عصريّة، واتجهت وجهة أخرى.

### المصادر والمراجع

- ابن أبي سلمي، زهير. ١٩٩٥م. الديوان. بيروت: دار الفكر.  
ابن منظور، محمد بن مكرم. ١٩٨٩م. لسان العرب. بيروت: دار صادر.  
أفرايم البستاني، فؤاد. ١٩٨٦م. المجاني الحديثة. بيروت: دار المشرق.  
البلعكي، منير. ١٩٩٧م. موسوعة المورد. بيروت: دار العلم للملايين.  
بهار، ملك الشعرا. ١٣٦٦ش. سبك شناسي. تهران: نشر دانش.  
عبده، محمد. ١٩٩٣م. شرح مقامات بديع الزمان الهمداني. بيروت: دار الفكر.  
القلقشندی، شهاب الدين. لاتا. صبح الأعشى. المجلد الرابع عشر. بيروت: دارالكتب العلميّة.  
نور عوض، يوسف. ١٩٧٩م. فن المقامات بين المشرق والمغرب. الطبعة الأولى. بيروت: دارالقلم.  
الهمداني، بديع الزمان. ١٩٨٧م. المقامات. مصر: دار النهضة العربية.  
ياغي، عبدالرحمن. ١٩٦٩م. رأى في المقامات. الطبعة الأولى. بيروت: دارالكتب العلميّة.

